محاضرات في مقياس المناهج النقدية الغربية

ماستر2 أدب/ مج1 الأستاذ/ عدنان فوضيل

المحاضرة الرابعة المنهج السيميائي

ظهرت السيميولوجيا مع كل من فردينان دي سوسور وشارلز ساندرس بيرس، وإذا كان تشارلز ساندرس بيرس رائدا للسيميوطيقا الانجليزية فإن سوسور هو رائد السيميولوجيا الفرنسية، ولقد حاول البعض أن يفرق بين المصطلحين، فهناك من يرى أنّ " السيميولوجيا تعنى بدراسة نظام محدد من أنظمة التوصيل، من خلال علاماته وإشاراته ودراسة الدلات والمعاني أينما وجدت، وعلى الخصوص في النظام اللغوي،.

أما السيميوطيقا فتهتم بدراسة الاتصال والدلالة عبر أنظمة العلامات في علوم مختلفة، وفي تطبيقاتها وممارستها الخيالية، فهي تتخصص في الاتصال الآلي، والاتصال الحيواني، وتصل إلى أكثر انظمة الاتصال الانساني تعقيدا وتركيبا، لغة الأساطير، واللغة الشعرية مثلا، مستعملة في هذه المجالات المختلفة علوم اللغويات، والأنثروبولوجيا، والمنطق، والفلسفة والألسنية.

درس سوسور العلامة اللغوية ووضع خواصها الأساسية، ورأى أنها تندرج ضمن منظومة أكبر هي العلامات بصفة عامة، وبهذا يقرّ أنّ العلم سيشهد نشأة علم كبير لينظم العلامات المختلفة، ليعد علم اللغة جزء منه ويخضع لقوانينه، ومنه يعد المنهج السيميائي من إفرازات النظرية اللسانية المعاصرة، وهو منهج يقوم على الوصف والتحليل، وصار من المناهج الأكثر انتشارا في الساحة النقدية العالمية، ورغم هذا التلاقح مع المنهج اللساني، إلاّ انّ السيميائية عرفت استقلاليتها من اللسانيات، وأصبح لها مجالها الخاص عب توظيفها لآليات خاصة بها في مقاربة النصوص.

1/ المفهوم:

يعتبر فردينان دي سوسور أوّل من عرّف السيميائية بقوله: هي " حياة العلامات داخل المجتمع"، ليأتي بعده الأمريكي شارلز ساندرس بيرس ليفتح أفق الدرس السيميائي نحو شياعة العلامة الثقافية، ومنه يمنحها تعريفا شاسعا بقوله: " أنها شيء يمثل شخص ما لشيء ما"، فاتحا بهذا دلالات شاسعة للعلامة السيميائية.

2/ مقولات السيميائية:

- العلامة:

تعتبر مفهوما أساسيا ويمكن أن تكون طبيعية، اصطلاحية، عرفية، ولقد درس سوسور العلامة اللغوية ووضع خصائصها الأساسية ورأى أنها تندرج ضمن منظومة أكبر هي العلامات بصفة عامة.

جاء بعدها بيرس وقام بتحليل أنواع العلامات المختلفة عن طريق التمييز بين مستوياتها:

- العلامة الأيقونية:

وهي العلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها تتمثل في علاقة تشابه بي المصورة والمشار إليه، مثل (الصور، الرسوم البيانية، الخرائط، المجسمات)، فالأيقونة تشبه ما تشير إليه.

- العلامة الاشارية:

وهي التي بينها وبين مدلولها تلازم مشهود، وهو العلامة التي تدل على الشيء وفقا سببية منطقية كدليل (الدخان على وجود النار).

- العلامة الاصطلاحية:

وهي ما اتفق عليه مجموعة من الناس بناء على مصطلح معين وليس بينها وبين ما تدل عليه أي محاكاة، مثال (إشارات المرور).

فاللغة هي مجموعة من الرموز، ومنه شمل الدرس السيميولوجي كل العلامات الثقافية كا (علامات المأكل، اللباس...وغيرها).

3/ اتجاهات السيميائيات:

- سيميائية الدلالة: ويتزعمها رولان بارت، وتختص في دراسة الأنظمة الدالة من خلال التركيز على الثنائيات اللسانية (اللغة/الكلام، الدال/المدلول....).
- سيمياء التواصل: ويتزعمها كل من جورج مونان و بويسنس، وتقوم على مبدأ أنّ وظيفة اللسان هي التواصل.
- سيمياء الثقافة: ومن أعلامها نجد: يوري لوتمان، امبرتو إيكو، وهذا التوجه يرتكز على اعتبار كل الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية.

4/ أبعاد المنهج السيميولوجي:

- يعتبر أحد الباحثين أنّ النص في البحث السيميولوجي مجالا للفعل الإنساني، يتمتع بحركية دؤوبة وفاعلية مستمرة ومتشظية، ويفهم من هذا الطرح أنّ النصوص صالحة في كل الأزمنة، لأنه يحمل دلالات متعددة وحده فقط المتلقي من يمنحه تلك الدلالات، فالمتلقي المعاصر يمكنه أن يمنح لنص قديم دلالات جديدة مغايرة لدلالاته زمن انتاجه.
- يتداخل النص حسب السيميائية في تفاعل مع المتلقين المختلفي الأهواء والمنابع والمشارب، وهذا يعني أنّ النص مهما كانت انتماءاته الثقافية، فإنه يقبل التأويل من طرف متلق من ثقافة مغايرة.
- يعتمد التحليل السيميولوجي للنصوص على:

- التحليل المحايث: أي البحث عن الشروط الداخلية وإبعاد كل ما هو خارجي.
- التحليل البنيوي: عبر إدراك المعاني داخل النص (نظام العلاقات).
- تحليل الخطاب: البحث في القدرات الخطابية (قدرة بناء نظام لإنتاج الأقوال).

منه نستنتج أن البحث السيميولوجي يستعين بكل المناهج النسقية السابقة له من أجل بناء مقاربة دقيقة تعينه على استقراء النصوص، وكشف عمل العلامات داخله.